

نسب أديب حسين*

كيف علّمت هند الحسيني أطفال دير ياسين التحليق

تُعتبر هند طاهر الحسيني (١٩١٦ - ١٩٩٤)، المناضلة والرائدة التربوية والناشطة الاجتماعية، من أبرز السيدات المقدسيات اللواتي كرّسن حياتهن لخدمة الشعب الفلسطيني، ورعاية الأيتام والفقراء. ومن أهم تجاربيها/إنجازاتها، "دار الطفل العربي" التي قضت معظم حياتها في خدمتها، وعملت جاهدة على توفير كل ما يستلزم صمودها وتطورها من دعم ومال بمساعدة أصدقائها والمانحين من أنحاء العالم كافة. وهذه المقالة تسعى للإضاءة على جانب من حياة هند الحسيني، يتعلق بظروف إنشاء الدار، وتجربة تطويرها.

كانت الساعة أربعة الصبح لمّا أخوي محمود شاف
اليهود فايّتين زي النمل على البلد، صحّي أهل البلد،
وكان الضرب على بيتنا كثير، وهربتنا إمي أنا وإخوتي
الاثنين الصغار من البيت وآخر كلمة قالتها: "روحوا
أودعتكم الله".

بيتها، وأنا أتبع شرحها: "الدرج الثاني بعد
الحلاق، انتبهي مش الدرج الأول، الأول بودي
عند المستوطنين." أمرّ بنظرة سريعة على
الأسلاك والكاميرات قرب الدرج الأول،
وسرعان ما تدفّعتني الريح إلى نزول الدرج
الثاني، وأنا أتساءل كيف تحتمل وجود

كثيرة أعددتها
في مخيلتي
وأنا أتفحص أبواب البيوت في شارع
رئيسي من حيّ الشيخ جراح، للعثور على

ضمن ٢٥٤ شخصاً قتلهم أعضاء من عصابات إيتسل وليحي الصهيونية في قرية دير ياسين الواقعة شمالي غربي القدس، والتي اقتُحمت عقب استشهاد القائد عبد القادر الحسيني في معركة القسطل.^٢ انتشر خبر مجزرة دير ياسين ومشاهدها المروعة في أنحاء فلسطين، الأمر الذي أثار كثيراً من الخوف في قلوب الفلسطينيين، وجعل عدداً كبيراً منهم يحزم أمره للرحيل، خشية أن يكون مصيرهم ومصير عائلاتهم مشابهاً لما حلّ بهذه القرية.

قال مناحم بيغن (رئيس الحكومة الإسرائيلية الأسبق)، عن نتائج مجزرة دير ياسين: "كان لهذه العملية نتائج كبيرة غير متوقعة، فقد أصيب العرب بعد أخبار دير ياسين بهلع قوي، وأخذوا يفرون مذعورين."^٣ على الرغم من قتل معظم سكان القرية، فإن عدداً من الأطفال نجوا وبقوا في قيد الحياة، وجمعتهم العصابات الصهيونية في شاحنة وألقت بهم في حي المصراة قريباً من باب العمود شمالي البلدة القديمة، وباب الخليل في الجهة الغربية للمدينة.^٤ وهنا يبرز السؤال عن مصير هؤلاء الأطفال الذين لم يعثروا على عائلاتهم. إلى أين ذهبوا وكيف أمكن التعامل معهم وعلاجهم، عقب هذه الظروف المهولة التي واجهوها في طفولتهم؟ في هذا السياق يظهر فوراً اسم السيدة هند طاهر الحسيني (١٩١٦ - ١٩٩٤) من الذاكرة الفلسطينية. ففي ظهر يوم ١٩٤٨/٤/٩ كانت الحسيني في طريقها لحضور اجتماع دعا إليه رئيس البلدية آنذاك أنور الخطيب لبحث أحوال المدينة، فالتقت بمجموعة من الأطفال تتراوح أعمارهم ما بين ٢ و١٢ عاماً، قرب كنيسة القيامة، فتوقفت مستفسرة عن سبب وجودهم

المستوطنين قربها، بعد صدمات الطفولة كلها. أطرق بابين وأسمع صوتها ولا أعلم خلف أي باب هي، حتى فُتح أحدهما، لتطل تلك العجوز المشرفة على الثمانين خلفه. سرّت خلف مشيتها المتثاقلة وشعور بالأسف يداخلني، لأنني أدفعتها إلى مغادرة غرفتها تجاه حوش بيتها في هذا الطقس البارد والماطر.

لم أقل لمريم بركات أنني حين عرفت بوجودها، وتمكنت من الوصول إلى رقم هاتفها عن طريق صديقة من الحي، كدت أرقص فرحاً كأنني عثرت على كنز، بعدما فشلت في الوصول إلى مَنْ شاركوها التجربة ذاتها. أعدت لي القهوة وهي تسأل عن سبب بحثي عنها، وكيف تمكنت من الوصول إليها، وحين جاءت لتجلس قبالي بوجهها السّمح، أدركت أنها ستكشف كثيراً من المعلومات التي أحتاج إليها.

بدأت مريم (مواليد ١٩٣٩)، تقصّ ما

حصل في دير ياسين في ذاك الفجر من ٩ نيسان/أبريل ١٩٤٨، وكيف ودّعت أمها من دون أن تدرك أنها لحظة الوداع. ومضت مع أخيها، تتبع أقاربها وأهل قريتها من مكان إلى آخر، وهي تنظر إلى الخلف، أمله أن تطل أمها أو أحد أبناء عائلتها، لترى الحزن يرتسم على ملامح شقيقها وخالها في عين كارم. تم وضعها مع أخيها وعدد من الأطفال الناجين في شاحنة طافت بهم أحياء اليهود الذين هزئوا بهم، ثم أنزلوا عند باب الخليل، ونقلوا إلى غرفة في قرية سلوان جنوبي شرقي القدس. التقت بعد بضعة أيام بزوجة أبيها فأخبرتها بالحقيقة، وهي أن أمها ووالدها واثنين من إخوتها، وجدّها وعمها قد قتلتهم العصابات الصهيونية في قريتها دير ياسين.^١ وهكذا بات أبناء عائلة مريم من

خمسة وخمسين طفلاً وضعناهم في غرفتين في سوق الحصر في البلدة القديمة، ولم يكن في جعبتي يومها سوى ١٣٨ جنيهاً فلسطينياً. آليت على نفسي أن أعيش لهم أو أموت معهم، إذ تصورت وكأن الشعب الفلسطيني سوف يُمحي وينقرض لو مات أولئك.. وكيف يُمحي شعبنا العظيم؟ لا وألف لا.. وهكذا بدأت الفكرة وأسست بعدها بأشهر قليلة جمعية دار الطفل العربي في القدس.⁶

في تلك المرحلة أخذت الحسيني الأطفال كمسؤولية ذاتية، وعند الاطلاع على تفصيلات تجربتها، وبلوغ عدد الأطفال الذين شملتهم رعايتها ١٢٥ طفلاً، خلال خمسة أشهر بعد

هناك في هذه الظروف الصعبة، لتخبرها الفتاة الكبرى عمّا ألمّ بقريتهم دير ياسين. طلبت السيدة هند من الأطفال انتظارها وتوجهت إلى الاجتماع لتخبر الحاضرين بما رأت، فقال لها أنور الخطيب إنهم حاضرون لمناقشة مشكلة جميع اللاجئين إلى القدس، فأخبرته أنها ستتوجه فوراً إلى محاولة إيجاد مأوى لهؤلاء الأطفال.^٥ تقول الحسيني عن قرارها بجمع الأطفال:

كان أطفال دير ياسين الذين شاء لهم القدر أن ينجوا من تلك المجزرة الصهيونية الرهيبة، أكبر ظاهرة بوّس وشقاء. على الأثر، وفي خلال أسبوع، جمعتُ بمساعدة السيد عدنان أمين التميمي



هند الحسيني أمام تلميذات الدار.

المصدر: موقع "دار الطفل العربي"، في الرابط الإلكتروني التالي:

<http://www.dartifil.org/ar/ar/10/100/%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%AF%D8%A7%D9%8A%D8%A7%D8%AA.htm>

دعتها إلى نقل الأطفال إلى السكن معها في الدير بدلاً من أن تذهب هي إليهم في سوق الحصر. ١٠. وندرك بهذا أن الانتقال إلى مكان أكثر اتساعاً، ووجود السيدة هند قرب الأطفال ومعهم، منحهم الأمان وشكّل أول الحلول لمشكلات الأطفال النفسية.

استمر هذا الحل في التطور، فانتقلت السيدة هند مع الأطفال بعد الهدنة في أيلول/سبتمبر ١٩٤٨، إلى بيت جدها حيث نشأت في حي الشيخ جراح، فبات الأطفال ينامون معها في بيتها، كما أن المساحة المحيطة بالبيت أتاحت أمامهم الفرصة للعب. ١١. وتلوح ابتسامة على وجه مريم عند سؤالها عن الانتقال إلى البيت في الشيخ جراح، فتقول: "كانت غرفة الست هند جنب غرفتنا بالضبط، وكانت دايماً تفيق مرتين بالليل عشان تطل علينا." وتضيف مريم أن الحسيني كانت تحضر حالاً إذا ما بكى أحد الأطفال في ساعات الليل لتهدئته والاطمئنان عليه. ١٢. وتلقّت فتيات المؤسسة أحياناً دروسهن في الهواء الطلق تحت الأشجار الوارفة، الأمر الذي كان يُدخل الفرح إلى نفوسهن.

حتى سنة ١٩٥٠، كانت دار الطفل تتألف من بنايتين تشملان عشرين غرفة، وتحيط بهما أرض واسعة تبلغ مساحتها دونماً واحداً، فيها ملاعب وأراجيح، وحدائق منسقة وحرش صغير من شجر الصنوبر ملحق بها. ١٣. هذه العوامل من توفير بيئة آمنة وموقع مريح وفضاء خارجي، شكلت جميعها إمكانات لتفريغ الضغط الداخلي لدى الأطفال.

٢- تنظيم برنامج الأطفال وإشغالهم بالموسيقى والرسم والتطريز: تم إشغال وقت الأطفال بحيث يعنى الكبير بالصغير، وتنشئتهم على أنهم إخوة وأخوات يتشاركون

مجزرة دير ياسين، ثم انضمام أطفال من أنحاء فلسطين، إلى أطفال هذه القرية بحيث أصبح عددهم ٤٠٠ طفل، ٧. يلخ السؤال كيف استطاعت هذه السيدة التعامل مع هذا العدد الكبير من الأطفال الذين مروا بصدمات نفسية، وعاشوا كثيراً من المشاهد الصعبة التي لها أبعادها وآثارها في شخصية الطفل، وكيف تمكنت على الرغم من ذلك من تنشئتهم وتخريجهم من حضن مؤسستها؟

١- توفير البيئة الآمنة: نلاحظ أن

المشكلة الأولى التي واجهتها السيدة هند مع الأطفال على الصعيد النفسي، كانت عقب أيام قليلة من جمعها أطفال دير ياسين، وإيوائهم في غرفتي الحضانة في سوق الحصر. إذ تذكر الحسيني في تسجيل صوتي، أنها زارت الحضانة في أحد الأيام لتجد الأطفال يجلسون في دائرة، ويكون ويضربون بعضهم بعضاً، وحين سألتهم لماذا يفعلون هذا؟ أجابوها أنهم يخافون كثيراً خلال الليل من صوت الرصاص والقنابل. ٨.

تعود الذاكرة بمريم بركات فتذكر أن أحد أقربائها أخبر شقيقها الأكبر وزوجة أبيها، اللذين عثرا عليها في سلوان، عن السيدة هند، واقترح عليهما تسليمها وشقيقها لرعايتها. وهناك في الغرفتين في سوق الحصر تتذكر مريم شظايا القنابل في الحوش، ومحاولتهم أحياناً اللعب بها، وتأنيب المربية حنة كرشة حين تلاحظ هذا، وبكاءهم خوفاً في الليل، إلى أن انتقلوا إلى مكان آخر. ٩.

تذكر الحسيني في الشريط التسجيلي، أن الحل الأكثر ملاءمة، والذي ارتأته إزاء فزع الأطفال في الليل، هو أن تنتقل لتعيش معهم في المكان نفسه، لكن رئيسة الراهبات في دير صهيون (حيث أقامت فترة الحرب)،



في الباحة خلال الاستراحة.

المصدر: موقع "دار الطفل العربي"، في الرابط الإلكتروني التالي:

<http://www.dartifl.org/ar/ar/10/100/%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%AF%D8%A7%D9%8A%D8%A7%D8%AA.htm>

لنا على البيانو وتجيّب مرات شاب
ليعزف لنا، وكنا نغني مع بعض أغاني
مفرحة، وكانت تعلمنا الرسم والتطريز
الفلاحي.^{١٦}

وتؤكد مريم أن هذا كان يثير كثيراً من البهجة
في نفوسها هي وزميلاتها. وهذا الاهتمام
بالأساليب الفنية لم ينحصر في أول عامين
من تأسيس دار الطفل، وإنما استمر في
الخمسينيات أيضاً، كما تشهد هداية الحسيني
التي نشأت وترعرعت في المؤسسة منذ سنة
١٧.١٩٥٤

٣- إنسانية هند الحسيني وشخصيتها:

يمكن ملاحظة أن العديد من المركبات أدى
دوراً في مساعدة هند على حل مشكلات

في المسؤوليات، لتحقيق المهمات المطلوبة
منهم. وقد جرى اتباع أسلوب الفرق لتنظيم
الحياة اليومية في الدار، إذ قُسم الأطفال إلى
سنة فرق (التنظيف؛ الخياطة؛ الغسيل والكي؛
الطبخ؛ الحديقة؛ الاستقبال).^{١٤} وفي الوقت
عينه اهتمت الحسيني بإشغال الأطفال
بنشاطات إيجابية، وبهذا الصدد تقول السيدة
ح. ي. (التحقت بدار الطفل في سنة ١٩٤٩) إن
السيدة هند كانت تعزف لهم على البيانو،
وتعلمهم الرسم.^{١٥}
وفي السياق نفسه، تقول السيدة مريم
بركات:

كانت الست هند تخلينا نطلع على
بيتها وتجمعنا بالصالون، وتعزف

هذا. هنا استدعت السيدة هند جميع المدرسات، وبلغتهن أن عليهن معاملة الفتيات بالحسنى، وقامت بشطب برنامج الطعام لهذين اليومين، أمرت بتغييره، ثم أخذت مريم لتتناول الغداء معها ومع والدتها في بيتها.^{٢٠}

كذلك اعتادت الحسيني، بصورة عامة، استدعاء أي طفلة تعاني مشكلة أو يبدو الحزن عليها، إلى غرفتها لمحادثتها والاستماع إليها، ثم ترسل إلى المربية لإعلامها بالنواتق في الأسلوب الذي تتبعه، مانحة إياها ملاحظات للتعامل. وكان بابها مفتوحاً أمام الجميع، على الرغم من عدد الأطفال الكبير في المؤسسة، والذي تجاوز أحياناً ٤٠٠ طفل.^{٢١}

واهتمت الحسيني بتلقّي الأطفال الرعاية الصحية الملائمة، وقد تطوع طبيب الأطفال أمين صالح محجج، وطبيب الأسنان أجنّيداس في الأعوام الأولى لتأسيس المؤسسة، ثم تطوع في مرحلة لاحقة د. صبحي غوشة، ود. أمين الخطيب، علاوة على أطباء تولوا الرعاية في عيادات خارجية. وتم توظيف ممرضة مقيمة داخل المؤسسة لمدة ٢١ عاماً (١٩٥٩ - ١٩٨٠). وكانت الحسيني قد أرسلت بنات من دار الطفل لدراسة التمريض إلى جانب الخدمة الاجتماعية في ألمانيا.^{٢٢}

وتذكر ابنتها هداية أن السيدة هند بقيت حتى أيامها الأخيرة، تطلب أن تذوق الأكل الذي يُقدم إلى الفتيات لتتأكد أنه لذيذ، وكانت تحب الجلوس على شرفتها، أو قرب النافذة لتسمع صوت الطفلات، وإذا لم تسمعهن تنادي سائلة: "هدهد وين عصافيري؟" لتبقى مطمئنة إلى أن بناتها بخير وسعادة.

الأطفال الذين التحقوا بالمؤسسة، لكن ما يمكن تسجيله، استناداً إلى موظفات عملن معها، وطفلات تربيين في دار الطفل، هو أن قلب هند الحسيني وشخصيتها كانا أكثر ما منحهن الأمان، وساعدهن في تجاوز المحنة التي تعرّضن لها.

فقد اهتمت بالأطفال ورعتهن بقلب رحب ومحبة كبيرة، وكما ذكرنا سابقاً، فإنها درجت على النهوض مرتين خلال الليل لتطوف بين أسرة الأطفال فتطمئن على أحوالهم.^{١٨} وكذلك، فإنها مدت أواصر الصداقة بينها وبين الفتيات فكانت قريبة منهن، إذ كانت تجمعهن حولها عصر كل يوم تقريباً في ساحة الدار وتقوم بمحادثتهن، الأمر الذي أحببته وانتظرته بشوق طوال ساعات اليوم، كما كانت تبني مع الفتيات رجل ثلج في فصل الشتاء، وكُنّ يطفن حوله وهنّ يغنين.^{١٩} وتمكنت الحسيني أيضاً من منح الفتيات الشعور بالأمان، من خلال معالجة المشكلات التي يواجهنها مع طاقم المدرسات. إذ تتذكر مريم بركات أنها لم تكن تحب تناول وجبة الغداء التي تقدمها المؤسسة أيام الثلاثاء والسبت، وحاولت إحدى المدرسات إجبارها على تناول وجبة الغداء، وعاقبتها عند رفضها بقرص أذنها. كانت السيدة هند تهتمّ بدخول قاعة الطعام مع مجموعة من الزوار، عندما شهدت ذلك، وحاولت المعلمة الادعاء أن مريم، التي سرعان ما تقيأت الطعام الذي أجبرت على أكله، مريضة. لكن السيدة هند انتبهت إلى أذن مريم الحمراء، وسألتهن عن سبب رفضها الطعام، فأخبرتها مريم أنها وجميع الفتيات يكرهن طعم الوجبة المقدمة في هذين اليومين، لكن الأخريات يأكلن بصمت وهي لا تستطيع إجبار نفسها على

تقول هداية الحسيني:

والأمان. وتذكر هداية هند الحسيني - ابنتها بالتبني - أن هند غالباً ما كانت تقول لها وللفتيات الأخريات حين يبكين يتمهن "أنا يتيمة مثلكن، ومررت بظروف صعبة أيضاً".^{٢٦} لم يقف اليتيم حاجزاً بين هند الحسيني وبين تقدمها في الحياة وتطوير نفسها، فعُينت عقب تخرجها من مدرسة راهبات صهيون في سنة ١٩٣٨، معلمة للغتين العربية والإنجليزية في مدرسة البنات الإسلامية. وكانت مشاركة في حركة الكشافة الفلسطينية، وحين شداها إطار العمل الاجتماعي، توقفت عن التدريس، وانضمت إلى جمعية التضامن الاجتماعي النسائي^{٢٧} في سنة ١٩٤٥. ويتضح عند مراجعة سيرتها الذاتية، أن هند كانت صاحبة دور فاعل في الجمعية، من تولي المراسلات، والسفر مع الجمعية إلى عمان والقاهرة، وإلقاء الكلمات، وكذلك قيادة سيارة الجمعية. وما جاء في كلمتها لدى الاحتفال بذكرى تأسيس الجمعية في أيار/مايو ١٩٤٧، إنما يؤكد اهتمام جمعية التضامن الاجتماعي واهتمامها الخاص، برعاية الأيتام الذين توفي أبائهم خلال الحرب العالمية الثانية، وأهمية الحاجة إلى التركيز على الخدمة الاجتماعية أكثر من السياسة.

وشاركت الحسيني عقب تأسيس دار الطفل، في العديد من المؤتمرات المعنية بالحقل الاجتماعي في كثير من الدول، مثل حلقة الدراسات الاجتماعية الثالثة للدول العربية التي عُقدت في دمشق في سنة ١٩٥٢، ومؤتمر خبراء التدريب المهني للشرق الأوسط، والذي عُقد في لبنان في سنة ١٩٥٣، وغيرهما. وتذكر هند في تأريخ لسيرتها مع دار الطفل، أنها شعرت بالحاجة إلى معلومات

زرعت ماما هند الإنسانية بيننا وروح الأسرة الواحدة، فجعلتنا ننشأ على أننا أخوات، نحب ونساعد بعضنا البعض، إذ كان في المؤسسة فتيات يعانين من عجز صحي، فكان علينا أن نساعدن. شخصياً أتذكر أن طفولتي كانت جميلة هنا، وكنت طفلة سعيدة، حتى بدأت تزداد أسئلتني عن هويتي، وحين فهمت أنها ليست أُمي الحقيقية عانيتُ وازدادت حديّة طبعي. وكانت تُكثر الحديث معي وتقول لي أنها مثلي يتيمة، وأن اليتيم ليس عيباً.^{٢٤}

وأضافت هداية أن اهتمام هند لم يقتصر على طفلاتها، بل كثيراً ما كان يتوجه سكان من المدينة لأخذ مشورتها في مشكلات أسرية يعانون جزاءها، فتساعدهم على حلها. وتشهد هداية أنها كثيراً ما رأت الناس يدخلون إليها بوجوه متكدرة، ثم يخرجون باسمين. وغالباً ما أوصت هند، هداية بأن: "أبقي باب بيتك مفتوحاً، فلا يقصدك إلا من يحتاج إليك".^{٢٥}

٤- التجربة الحياتية والمؤهلات

العلمية: عرفت الحسيني معنى اليتيم من خلال تجربتها الخاصة، بوفاة والدها طاهر الحسيني وهي في الثانية من عمرها، لكن يبدو أن نشأتها في بيت جدها مع إخوتها وأولاد عمومتها، جعلتها تعتبر طفولتها طفولة سعيدة، وهو ما يمكن ملاحظته في المقالات التي تنقل سيرتها. ولا بد من أن هذه التجربة ساعدت هند في فهم منغصات الفقد - على الرغم من اختلاف الظروف - وفهم أهمية وجود بيئة حاضنة تُشعر الطفل بالدفء

ساعدها في جمع أطفال دير ياسين لرعايتهم.^{٣٠} من جانب آخر تتذكر كل من مريم بركات التي التحقت بدار الطفل (١٩٤٨ - ١٩٥١)، وهداية الحسيني التي التحقت بدار الطفل منذ سنة ١٩٥٤، علاقة الصداقة القوية التي جمعت السيدة هند بالسيدة إليزابيث (ليزا) حنا ناصر، الحاصلة على اللقب الأول في العلوم الاجتماعية والتربية في سنة ١٩٣٣، وهي أول امرأة تشغل منصب دائرة الشؤون الاجتماعية في القدس.^{٣١} وقد انضمت ناصر لتكون بين الأعضاء المؤسسين لدار الطفل، وتذكر السيدة هداية أن السيدة هند كثيراً ما كانت تستعين بها للتشاور في بعض الحالات الصعبة التي تواجهها مع الفتيات.^{٣٢} ويرد في تقرير المؤسسة لسنة ١٩٤٩ - ١٩٥٠ أن دائرة الشؤون الاجتماعية، ودار اليتيم العربي في حيفا كانا ممن قدموا المساعدات المادية والمعنوية إلى الدار. وبعد الاطلاع على سجلات الموظفين في المؤسسة، نجد أنه تم تعيين موظفات في المجال التربوي مع بداية ستينيات القرن العشرين، إذ عُينت السيدة الألمانية أناليزا شتركر كمعلمة ومستشارة تربوية (١٩٦٢ - ١٩٧٣)، وانضمت الآنسة باسمة فارس، وهي عضو مؤسس في دار الطفل، إلى طاقم تلك الدار، كموجهة تربوية خلال الفترة ١٩٦٥ - ١٩٧٤.^{٣٣} وتذكر السيدة ماهرة الدجاني تعيين كل من رائف درويش وشاب من آل عليص، عاملين اجتماعيين في المؤسسة في ستينيات القرن العشرين.^{٣٤}

٦- تأهيل طاقم متخصص بالخدمة الاجتماعية من بنات دار الطفل: قامت السيدة هند في بداية الستينيات بإرسال مجموعات من بنات دار الطفل إلى ألمانيا

تربوية اجتماعية أكثر إماماً واتساعاً، لتساعدها على تحمّل مسؤوليتها تجاه الأطفال، الأمر الذي دفعها إلى الالتحاق بجامعة هامبورغ في ألمانيا الغربية (١٩٦٣ - ١٩٦٥)، لأربعة أشهر سنوياً، لثلاثة أعوام متتالية، من أجل زيادة وتحديث معلوماتها في هذا المجال.^{٣٥} وترى المديرية الحالية لمؤسسة دار الطفل العربي السيدة ماهرة الدجاني أن التجربة الذاتية للسيدة هند، وما واجهته من يتم، وفهمها العوامل المحيطة التي ساعدتها على تجاوز ذلك النقص كالبينة الآمنة والموسيقى، أمور ساعدتها كثيراً، وخصوصاً في البداية، على التعامل مع الأطفال.^{٣٦}

٥- الاستعانة بمهنيين في مجال

الخدمة الاجتماعية: يمكن ملاحظة أن عمل السيدة هند ضمن جمعية التضامن الاجتماعي النسائي، وكونها ابنة عائلة عريقة ومعروفة، كانا عاملين مساعدين في تشكيل علاقات واسعة مع شخصيات قيادية، مثل رئيس البلدية آنذاك أنور الخطيب، وشخصيات فاعلة وناشطة اجتماعياً من زميلات في الجمعية مثل السيدة باسمة فارس. فقد ساعدتها هذه العلاقات في إنشاء وتطوير مؤسسة دار الطفل، عن طريق جمع التبرعات ونشر فكرة المؤسسة، وإيجاد أصدقاء مؤسسين في دار الطفل، إذ تذكر الحسيني في تسجيل صوتي أنها والآنسة باسمة فارس توجهتا إلى دار البلدية لتطلب المساعدة في توفير الطعام للأطفال، فوجدتا أنور الخطيب يدعو التجار الحاضرين لطلب رخص، إلى تقديم التبرعات للمؤسسة. وتذكر الحسيني في التسجيل نفسه، أن السيد عدنان التميمي، وهو ناشط اجتماعي،

لتلقي الدراسة في مجال الخدمة الاجتماعية، ووفرت لهن هناك مربية لتطمئن عليهن خلال إقامتهن للدراسة. كما أرسلت قسماً من الفتيات إلى مستشفى الكاريتاس للأطفال في بيت لحم، للمداومة في دورات للتعامل مع الطفل، ودورات نفسية.^{٣٥}

وأسست الحسيني في سنة ١٩٧١ معهد التربية والخدمة الاجتماعية، ومدة الدراسة فيه ثلاثة أعوام، وكان من أوائل المعاهد في هذا المجال في فلسطين. وفي سنة ١٩٨٢ تم افتتاح كلية الآداب للبنات (كلية هند الحسيني للبنات لاحقاً) بمساعدة منظمة المؤتمر الإسلامي، وقدمت الكلية ثلاثة تخصصات بدرجة بكالوريوس (خدمة اجتماعية؛ آداب اللغة العربية؛ آداب اللغة الإنجليزية) مدة تدريس كل منها ٤ أعوام، وجاء هذا إيماناً منها بأهمية التأهيل والتخصص العلمي، مثلما قالت في سنة ١٩٨٥:

نسعى لإعداد المرأة كي تكون قادرة على مواجهة الحياة بعقل سليم ومنطق سليم. فتعليم الفتاة لا يعني بالضرورة حصولها على وظيفة، بل يعني أساساً إعداد فتيات متعلمات وأمهات قادرات على التعامل مع أسرهن وأطفالهن بطريقة علمية واعية.^{٣٦}

يمكن أن نستنتج أن لدى السيدة هند عدة مقومات ساعدتها في تطوير مؤسسة دار الطفل العربي، والتعامل مع الأعداد الكبيرة للأطفال الذين تولت رعايتهم، فهي كانت ذات شخصية قيادية. وكونها ابنة لعائلة عريقة من مدينة القدس، أمر ساعدها في الدراسة والسفر والانخراط في العمل المجتمعي

وتطوير آفاقها، في الوقت الذي لم تكن جميع هذه الأمور متاحة للفتيات في ذلك الوقت. ونتبين من مقابلة أجريت معها، على الأرجح في سنة ١٩٨٥، ونُشرت في كتاب تأبيني عنها، أن السفر والدراسة في ألمانيا جعلها تتطلع على أساليب التدريس الحديثة، وأهمية تطوير القدرة على البحث عند الطالب. وسعة اطلاعها جعلتها تذكر في المقابلة ذاتها أنها على الرغم من جميع الإنجازات التي حققتها المؤسسة، فإنها لا تزال غير مرتاحة، وتسعى لتطوير الوضع التربوي في مؤسستها.^{٣٧}

ويبدو أن يتمها دفعها إلى الاهتمام بالأيتام، وهو ما يظهر من خلال عملها في جمعية التضامن الاجتماعي النسائي والمؤسسة التي أسستها، فقد اندفعت لتحمل المسؤولية تجاه الأطفال الذين التقفهم، مصادفة، وقررت تكريس حياتها في سبيلهم، وعدم الزواج لاعتقادها أن الزوج لن يقبل بأن يشاركه حياته هذا العدد كله من الأطفال، كما قالت ابنتها هداية. وفي هذا دلالة على قوة شخصيتها من جهة، وعلى أن الأمة كانت في درجة أعلى من الأهمية بالنسبة إليها من الزوج، إذ قامت بتبني هداية لتعيش تجربة أن تكون أماً ترعى طفلة منذ مراحل الطفولة المبكرة، وهي تجربة ذات دور مهم في تشكيل الروابط بين الطفل وأمه. ويرجح أن تكون هذه التجربة قد ساعدتها أيضاً في تطوير قدراتها على التعامل مع باقي الفتيات. واعتبرت في مقابلة لها أن توجهها إلى العمل في ميدان الطفولة، جاء لكونها ترى في الطفل الحاضر والمستقبل، وأن الطفولة في رأيها هي "الطهر والوضوح والبهجة، وطفل اليوم هو أمل الأمة المرتجي وغدها المرتقب [...] وهو أعظم استثمار بشري وأثمن مدخر."^{٣٨}

تدّخر جهداً في تحقيق هذه الأهداف، سواء بتطوير معرفتها الذاتية وأدواتها العلاجية مثل إشغال الأطفال بالموسيقى والرسم والتطريز، لتفريغ طاقاتهم الإيجابية والسلبية، والتي هي أساليب علاجية ازداد الوعي إليها حديثاً، أو بنشر المعرفة والتخصص العلمي في وسط بنات المؤسسة. فقد انطلقت مؤسسة دار الطفل العربي في مدينة القدس، كدار حاضنة للأيتام ذكوراً وإناثاً في الأعوام الأولى، ثم اقتصرت على الإناث، موفرة صفوفاً تدريسية للحضانة حتى الصف الثالث. وراحت تتطور بفضل التبرعات التي حصلت عليها، لتزداد الصفوف التدريسية حتى المرحلة الثانوية، وتهتم بتوفير تدريب مهني لنزيلات الدار، في الخياطة وصناعة سلال القش والطباعة... إلخ، لتمكّنهن من إعالة أنفسهن في المستقبل. وحصلت المؤسسة على التبرعات من المقدسيين في بداية انطلاقها بتوفير الحاجات الأساسية من أطعمة وأغطية، ثم ازدادت شبكة التبرعات من أهل الخير من فلسطين والدول العربية، ومن الجاليات العربية المغتربة.

افتتحت المؤسسة معهد التربية والخدمة الاجتماعية في سنة ١٩٧١، الذي تطور ودفع الحسيني إلى تأسيس "كلية الآداب للبنات" التي افتتحت في سنة ١٩٨٢، وقد حملت هذه الكلية اسم هند الحسيني عقب وفاتها. وبرزت في سنة ١٩٦٢ فكرة إنشاء مركز تراثي يُعرّف بالماضي الفلسطيني، وتطورت الفكرة ليصبح المركز في سنة ١٩٧٩ متحف التراث الشعبي العربي الفلسطيني. وفي سنة ١٩٨٢ قامت السيدة هند بشراء قصر أديب اللغة العربية محمد إسعاف النشاشيبي، وجرى افتتاحه في

وتتوافق الأساليب التي اتبعتها الحسيني لتوفير الحاجات لأطفالها، مع نظرية ماسلو (Maslow) عن التحفيز الإنساني، والتي تفسر دوافع الإنسان إلى العمل والإنتاج، وتنطلق من أنه كلما تحققت ضرورات أساسية، فإنه يمكن للإنسان التطور في تحقيق درجة أخرى من الإنجازات حتى الوصول إلى تحقيق الذات.^{٢٩}

انطلقت الحسيني بتحقيق الدرجة الأولى من الحاجات لرعاية الأطفال، وهي الحاجات الأساسية من مأكّل ومشرب ونوم، ثم انتقلت إلى توفير الأمان، من مكان ملائم يحافظ على السلامة الجسدية للأطفال، ويهتم بصحتهم، إلى وجودها كشخص داعم وحاضن يقدم الأمن الأسري لهم. في الخطوة التالية جرى العمل على تشكيل فرق للأطفال وتقاسم في المهمات، وزرع روح الأسرة والتعاون بين الأطفال، وهكذا حققت الحسيني الدرجة الثالثة التي تُعنى بالحاجات الاجتماعية. وبالاستمرار في تطوير المؤسسة، ورعاية الفتيات وإرسالهن لتلقي الدورات والدراسات العليا، وإحضار الزوار ومشاركة الطالبات في مختلف النشاطات، وتمكين الفتيات ودعمهن، مضت لتحقيق الدرجة الرابعة، وهي الحاجة إلى التقدير، من تقدير ذاتي إلى كسب احترام الآخرين، وأكثر ما يدل على هذا سعيها لتعزيز ثقة الفتيات بأن اليتيم ليس عيباً. ومؤسسة الطفل العربي بما كسبت من احترام وتقدير من مختلف الأوساط الاجتماعية، لبّت هذه الحاجة وعززت الثقة لدى الفتيات، ومن هنا صار المجال مفتوحاً أمامهن لتطوير أنفسهن، وتحقيق ذواتهن ومواجهة التحديات في سبيل النجاح. ونستنتج ممّا تقدم أيضاً أن الحسيني لم

المؤسسة، وهي أم وجدة، ولا تزال تسكن في بيت جد هند داخل حدود المؤسسة، فقد نظرت إلى صورة هند قبالتها وقالت والدمعة في عينها:

نتعامل أنا وخريجي الدار على أننا إخوة كما ربتنا أُمي، وكثيراً ما يتصلون، أو يحضرون للسؤال والاطمئنان عليّ، ومنذ وفاتها وحتى اليوم ما زلت أشعر بوجودها وأحدثها. أسمت المؤسسة دار الطفل العربي، ليحمل مؤشراً إيجابياً، وليشعر الطفل المقيم هنا بالاعتزاز، فلم تطلق عليها اسم "دار اليتيم" مثلاً، لئلا يشعر الأطفال بالنقص. وأؤمن أن ماما هند هي سيدة الخدمة الاجتماعية في البلد، ولها قلب كبير من الصعب أن يكون مثله.^{٤٣}

هكذا تمكنت هند الحسيني من إحياء النور في عيون وقلوب الأطفال الذين سقطوا من أعشاش أهاليهم الدافئة ليكونوا تحت رعايتها، فأجادت احتضانهم، وعملت على تمكينهم من التقدم والنجاح في حياتهم، وتأسيس واحدة من أكبر وأهم مؤسسات القدس، التي رعت مئات الأيتام، وخرّجت آلاف الطلبة من مدرستها، وشكلت وتشكل معلماً وطنياً وثقافياً في المدينة. ■

سنة ١٩٨٦ مركزاً للأبحاث الإسلامية، وهذا المركز يحفظ ٢٩٧ مخطوطاً، وهو اليوم مكتبة ومركز ثقافي.^{٤٠} الأمر المؤكد أن إرادة السيدة هند وإيمانها بالفكرة، هما أكبر محرك قادها والمؤسسة إلى هذا النجاح:

نحن جميعاً نساء ورجالاً مطالبون بتعميق الثقة في أنفسنا وبالعامل متكاتفين حتى نظل مالكين لإرادتنا محافظين على هويتنا وحدودنا. وعلينا أن نكون على وعي تام أن العنصر الفلسطيني عنصر خلاق مبدع، لو أتيحت له الظروف وتوفرت الإمكانيات المناسبة... نحن شعب صابر وقادر، ولكن ينبغي أن ننسى خلافاتنا ونمارس شؤون حياتنا، بعيداً عن الارتجال والفضوى.^{٤١}

ختمت طفلة دير ياسين اليتيمة مريم حديثها معي عن السيدة هند الحسيني ودار الطفل التي غادرتها بعد ثلاثة أعوام من إقامتها فيها، بالقول: "يا ريت لو يرجع الزمن وأرجع إلى دار الطفل"،^{٤٢} لتبقى السيدة هند ودار الطفل، ابتسامة منيرة وسط الظلمة التي أحاطت بذاكرة طفولتها. أما السيدة هداية هند الحسيني التي تتولى منذ الثمانينيات إدارة القسم الداخلي في

المصادر

- ١ الاقتباس في مطلع المقالة والمعلومات التي ترد بعده، هي من مقابلة مع مريم بركات في ٢١/١١/٢٠١٧، عن تجربتها مع مؤسسة "دار الطفل العربي".
- ٢ بشير بركات، "مؤسسة دار الطفل العربي: ماضيها وحاضرها" (القدس: مؤسسة دار الطفل العربي ٢٠١٢)، ص ٥.
- ٣ الاقتباس من فيلم وثائقي للمخرجة ساهرة درياس (٢٠١٢)، بعنوان "أيتام مذبحه دير ياسين و هند الحسيني"، يمكن مشاهدته عبر موقع YouTube، في الرابط الإلكتروني التالي:
<https://www.youtube.com/watch?v=4w1nf-wr0KQ>
- ٤ المصدر نفسه.
- ٥ المصدر نفسه.
- ٦ "في وداع المربية الفاضلة هند طاهر الحسيني" (القدس: مؤسسة دار الطفل العربي، اللجنة التحضيرية لحفل التأبين، ١٩٩٤)، صفحة ٤.
- ٧ بشير بركات، مصدر سبق ذكره، ص ٩.
- ٨ درياس، مصدر سبق ذكره.
- ٩ مقابلة مع مريم بركات ، مصدر سبق ذكره.
- ١٠ درياس، مصدر سبق ذكره.
- ١١ مقابلة مع ماهرة الدجاني بتاريخ ٢٦/١٠/٢٠١٧، رداً على سؤال: هل من موظفين ساعدوا هند الحسيني في معالجة أطفال مؤسسة دار الطفل العربي؟
- ١٢ مقابلة مع مريم بركات، مصدر سبق ذكره.
- ١٣ "مؤسسة دار الطفل العربي، البيان السنوي ١٩٤٩ - ١٩٥٠" (القدس: مؤسسة دار الطفل العربي، ١٩٥٠)، ص ٩ - ١٠.
- ١٤ المصدر نفسه.
- ١٥ مقابلة عبر مكالمة هاتفية مع ح. ي. بتاريخ ٢٨/١٠/٢٠١٧، عن كيفية تعامل السيدة هند معك ومع أطفال دير ياسين.
- ١٦ مقابلة مع مريم بركات، مصدر سبق ذكره.
- ١٧ مقابلة مع هداية الحسيني بتاريخ ٧/١١/٢٠١٧، عن نشأتها في دار الطفل، وكيف تعاملت السيدة هند مع أطفال المؤسسة.
- ١٨ مقابلة مع مريم بركات، مصدر سبق ذكره؛ مقابلة مع هداية الحسيني، مصدر سبق ذكره.
- ١٩ مقابلة مع مريم بركات، مصدر سبق ذكره.
- ٢٠ المصدر نفسه.
- ٢١ مقابلة مع هداية الحسيني، مصدر سبق ذكره.
- ٢٢ بشير بركات، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٦ - ١٤٧.
- ٢٣ مقابلة مع هداية الحسيني، مصدر سبق ذكره.
- ٢٤ المصدر نفسه.
- ٢٥ المصدر نفسه.
- ٢٦ المصدر نفسه.

- ٢٧ تأسست جمعية التضامن الاجتماعي النسائي في سنة ١٩٤٢. بهدف مساعدة الأمهات العاملات، وتأسيس دور الحضانة لأطفالهن، وقد افتتحت لها العديد من الفروع في أنحاء فلسطين، وكان مركزها الرئيسي في القدس. ولمزيد من المعلومات عن الجمعية انظر موقع الموسوعة الفلسطينية، في الرابط الإلكتروني التالي:
<https://www.palestinapedia.net/%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B1%D9%83%D8%A9%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B3%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D8%A9/>
- ٢٨ في وداع المربية الفاضلة...، مصدر سبق ذكره.
- ٢٩ مقابلة مع ماهرة الدجاني، مصدر سبق ذكره.
- ٣٠ درباس، مصدر سبق ذكره.
- ٣١ للمزيد عن إليزابيث حنا موسى ناصر، انظر موقع ذاكرة القدس في الرابط الإلكتروني التالي:
http://jerusalemrecalled.com/%D8%A7%D9%84%D9%8A%D8%B2%D8%A7%D8%A8%D9%8A%D8%AB_%D8%AD%D9%86%D8%A7_%D9%85%D9%88%D8%B3%D9%89_%D9%86%D8%A7%D8%B5%D8%B1
- ٣٢ مقابلة مع هداية الحسيني، مصدر سبق ذكره.
- ٣٣ المعلومات مستقاة من سجل موظفي دار الطفل العربي.
- ٣٤ مقابلة مع ماهرة الدجاني، مصدر سبق ذكره.
- ٣٥ مقابلة مع هداية الحسيني، مصدر سبق ذكره.
- ٣٦ بشير بركات، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٣.
- ٣٧ "في وداع المربية الفاضلة..."، مصدر سبق ذكره، ص ١٢.
- ٣٨ المصدر نفسه، ص ١١.
- ٣٩ Saul McLeod, "Maslow's Hierarchy of Needs", "Simply Psychology",
<https://www.simplypsychology.org/maslow.html>
- ٤٠ بشير بركات، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٦ - ١٥٧.
- ٤١ "في وداع المربية الفاضلة..."، مصدر سبق ذكره، ص ١٥.
- ٤٢ مقابلة مع مريم بركات، مصدر سبق ذكره.
- ٤٣ مقابلة مع هداية الحسيني، مصدر سبق ذكره.